

تفسير ابن كثير

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ

وقوله : (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا)

الآية ، يقول تعالى منكرًا على من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر ، كما

أخبر تعالى عن القرون الماضية من قولهم : (أبشريهدوننا) [التغابن : 6] وقال هود

وصالح لقومهما : (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم) [الأعراف :

63 : 69] وقال تعالى مخبرًا عن كفار قريش أنهم قالوا : (أجعل الآلهة إليها واحدا إن

هذا لشيء عجاب) . وقال الضحاك ، عن ابن عباس : لما بعث الله تعالى محمدا صلى الله

عليه وسلم رسولا أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم ، فقالوا : الله أعظم من أن

يكون رسوله بشرا مثل محمد . قال : فأنزل الله عز وجل : (أكان للناس عجبا أن

أوحينا إلى رجل منهم) وقوله : (أن لهم قدم صدق عند ربهم) اختلفوا فيه ، فقال علي

بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (أن لهم قدم صدق [عند ربهم]) يقول :

سبقت لهم السعادة في الذكر الأول .وقال العوفي ، عن ابن عباس : (أن لهم قدم صدق
عند ربهم) يقول : أجرا حسنا ، بما قدموا . وكذا قال الضحاك ، والريبع بن أنس ،
وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وهذا كقوله تعالى : (لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ما كثر فيه أبدا) [الكهف : 2 ، 3
] وقال مجاهد : (أن لهم قدم صدق عند ربهم) قال : الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم
وصدقتهم وتسبيحهم . [وقال عمرو بن الحارث عن قتادة أو الحسن (أن لهم قدم صدق
عند ربهم [) قال : محمد صلى الله عليه وسلم شفيح لهم . وكذا قال زيد بن أسلم ،
ومقاتل بن حيان .وقال قتادة : سلف صدق عند ربهم .واختار ابن جرير قول مجاهد - أنها
الأعمال الصالحة التي قدموها - قال : كما يقال : " له قدم في الإسلام " ومنه قول [
حسان] رضي الله عنه .لنا القدم العليا إليك وخلفنا لأولنا في طاعة الله تابعوقول ذي الرمة
:لكم قدم لا ينكر الناس أنها مع الحسب العادي طمت على البحر وقوله تعالى : (قال
الكافرون إن هذا لساحر مبين) أي : مع أنا بعثنا إليهم رسولا منهم ، رجلا من جنسهم ،
بشيرا ونذيرا ، (قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) أي : ظاهر ، وهم الكاذبون في ذلك

